مجلة إشكالات في اللغة والأدب | مجلد: 13 عدد: 2، مارس 2024
ص: 288 - 297 | E ISSN: 2600-6634 / ISSN:2335-1586

قضايا في علم اللسان العربي عند الفارابي: دراسة تحليلية نقدية لبعض النصوص.

Issues in Arabic linguistics according to Al-Farabi
A critical analytical study of some texts.

هشام صويلح*
Souilah Hichem
مخبر تعليمية اللغات والتواصل في ظل التكنولوجيات الحديثة
جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة (الجزائر)
University August 20, 1955 –Skikda (Algeria)
h.souilah@univ-skikda.dz

تاريخ الإرسال: 2024/03/21	تاريخ القبول: 2024/04/12	تاريخ النشر: 2024/06/02

مُلخّص البحث

تأتي هذه الدراسة كمحاولة لمناقشة مسألتين أساسيتين في نصوص الفارابي ذات الصلة بعلوم اللسان، هما: 1-مسألة وضع مصطلح "علم اللسان" وتحديد مفهومه وتقسيم موضوعاته. 2-ومسألة شروط السماع اللغوي الفصيح وأهم قبائله. ولدراسة تينك المسألتين وضعنا على محك التحليل والنقد عينة من نصوص كتابي "إحصاء العلوم" و"الحروف".

ومن جملة النتائج المتوصل: أن الفارابي أقدم من وضع مصطلح "علم اللسان" وحاول تحديد موضوعه. وأنه استقى الكثير من معارفه اللغوية من بيئة اللغويين والنحاة العرب. وأنه أقدم فيلسوف إسلامي يقدم مساهمة معتبرة لعلم اللسان العربي من خلال ترتيبه بعض المسائل اللغوية ترتيبا منطقيا لم يسبق إليه.

الكلمات المفتاح : علم اللسان، فارابي، نصوص، دراسة تحليلية. فلسفة اللغة.

Abstract :

This study comes as an attempt to discuss two basic issues in Al-Farabi's texts: 1- The issue of establishing the term "linguistics," defining its concept and dividing its topics, 2- The issue of the conditions for eloquent linguistic listening and its most important tribes. The sample of the study was the books "Ihsa'e AL-Oloum" and "Al-hurof", and among the results reached: that Al-Farabi was the first to coin the term "the science of language" and tried to define its subject. He

* هشام صويلح: h.souilah@univ-skikda.dz

derived much of his linguistic knowledge from the environment of Arab linguists and grammarians. He is the oldest Islamic philosopher who made a significant contribution to the science of Arabic linguistics by arranging some linguistic issues in a logical order that had never been done before.

Keywords: Al-Farabi; linguistics; Arabic linguistics; texts; A critical analytical study.

1. مقدمة:

ترك الفارابي مؤلفات كثيرة، ذات اهتمامات متنوعة تنم عن معرفته الواسعة؛ الفلسفية منها والمنطقية واللغوية والعلمية والسياسية...غير أن أبرز الكتب التي لها علاقة بموضوع اللغة هي كتاب "الحروف" وكتاب "إحصاء العلوم" وكتاب "الألفاظ المستعملة في المنطق"...ويعد الفارابي من أبرز الفلاسفة العرب والمسلمين القدامى الذين أولوا بالغ الأهمية لدراسة الظاهرة اللغوية خاصة في اللسان العربي، كما يعد أقدم من اصطلح على الدرس اللغوي بمصطلح "علم اللسان"، بالإضافة إلى أنه أقدم فيلسوف إسلامي يرتب مسائل السماع اللغوي عند العلماء العرب ترتيبا منطقيا أثر في معظم من جاء بعده من علماء اللسان العربي.

وبناء على ما تقدم تأتي هذه الدراسة لتقف على عتبات التساؤلات التالية: ما علاقة الفارابي بوصفه فيلسوفا منطقيا بقضايا علم اللسان عموما وعلم اللسان العربي تحديدا؟ وما مصادر معارفه اللسانية؟ وما مفهومه لعلم اللسان وتقسيماته؟ وما أهم المباحث اللسانية العربية التي تناولها في نصوصه؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات حاولنا مناقشة جملة من العناصر أهمها:

- احتكاك الفارابي ببيئة اللغويين العرب، وبخاصة اللغوي ابن السراج.
- وضعه لمصطلح علم اللسان وتحديد مفهومه وتقسيم موضوعاته.
- ترجمة مصطلح علم اللسان أول مرة إلى اللغة اللاتينية.
- ضبطه لشروط السماع اللغوي الفصيح وتحديد أفصح القبائل.
- نص تحديد القبائل الفصيحة بين النقل والنقد.
- السيوطي والزيادة على نص الفارابي.

2. مصاحبة الفارابي للنحاة واللغويين العرب وأثر ذلك على تكوينه اللغوي:

كان للفارابي في حياته العلمية مخالطة واحتكاك ببيئة النحاة واللغويين، فقد اشتهر عنه ملازمته للنحوي البغدادي أبي بكر بن السراج، وأخذه عنه الكثير من المعارف المتصلة باللغة والنحو العربيين. وفي المقابل تعلم

ابن السراج عن الفارابي المنطق والفلسفة. وبهذا "استفاد كل منهما من الآخر بحيث استطاع الفارابي أن يكون له تصور دقيق عن النحو العربي وعلوم العربية عامة، ومن ثم وبسبب عبقريته استطاع أن يكون له تصور واضح عن بحوث تعمّ كل الألسنة البشرية"[1]، كالفارسية واليونانية والتركية وغيرها.

وتظهر آثار تعلم الفارابي النحوَ على ابن السراج -أيضا-في اهتمامه بالصلة بين النحو والمنطق، وهو أمر لم ينظر فيه أيُّ مفكر إسلامي قبل الفارابي أو بعده؛ بالتفصيل والتعمق الذي نظر فيه الفارابي في مصنفاته العديدة. ولا شك أن ابن السراج كان مصدرا لما يقوله الفارابي عن آراء نحويي العرب وأقوالهم في اللغة، وخاصة ما يقوله في نشأة علم اللسان عند العرب. وقد وثّق اجتماع الفارابي بابن السراج، الصلة بين علوم النحو واللغة من جهة، وبين علوم المنطق والفلسفة من جهة أخرى. وكان الفارابي بمثابة صلة الوصل بين الفكر الفلسفي اليوناني والتراث اللغوي العربي. ولهذا يعد الفارابي، زيادة على علو شأنه في المنطق والفلسفة ومعرفته للكثير من اللغات؛ كاليونانية والفارسية والسريانية والسغدية، عارفا أيضا بالعربية وفقهها ونحوها، وهذا ما أهله لأن يشرح معاني الحروف والألفاظ العربية وعلاقتها بالمنطق، وأن يسهب الحديث عن أصل اللغة وعن نشأتها وصلتها بالفلسفة ويقارن كل ذلك بما جاء في اللغات التي يعرفها.

أما عن العلاقة بين النحو والمنطق عند الفارابي فهي بتعبير الجابري "علاقة تناسب لا تعاند"؛ حيث تعد ترتيب العلاقة بينهما من أهم المهام التي اجتهد الفارابي في القيام بها[2]. فمن المعروف في تاريخ الجدال القائم بين النحاة والفلاسفة في قضية اللغة، هو انتصار كل فريق لموضوع اهتمامه، حيث انتصر الفلاسفة للمعنى على حساب اللفظ، وانتصر النحاة للفظ على حساب المعنى. وخير دليل على هذا الجدال هو المناظرة المشهورة بين النحوي أبي سعيد السيرافي والفيلسوف المنطقي متى بن يونس شيخ الفارابي. ونتيجة لهزيمة الفيلسوف في مقابل النحوي في هذه المناظرة، فهم الفارابي الدرس واجتهد لعدم الوقوع في خطإ شيخه فعد العدة لفهم علوم العربية من خلال عدم التفريط في الاهتمام بالمستوى اللفظي من اللغة، وقد أداه هذا الاهتمام إلى أن يكون أبرز فيلسوف ذي تكوين لغوي متين. وقد أهله هذا الاجتهاد في دراسة اللغة لأن يكون سباقا لوضع بعض المصطلحات والتعريفات والتقسيمات التي تمثل أصالته في البحث اللساني عموما؛ العربي وغير العربي. ومن أبرز تلك الاجتهادات وضعه لمصطلح "علم اللسان" وتحديد مفهومه وتقسيم فروعه.

3. الفارابي أقدم من حدد مفهوم "علم اللسان" وموضوعه في "إحصاء العلوم":

يُعد الفارابي من أوائل الفلاسفة الذين أدركوا قيمة اللغة وضرورة الإحاطة بها لامتلاك ناصية العلوم المختلفة، ومن يطلع على كتب الفارابي المنطقية واللغوية يدرك أننا أمام متخصص في علوم اللسان؛ أدرك قضايا اللغة وأصول مفرداتها واشتقاقاتها وأصواتها، وما عسى أن يكون لحقها من تحوير وتغيير وغير ذلك مما يدخل في نطاق فلسفة اللغة وفقهها، واللسانيات والصوتيات[3].

ويعد الفارابي أول من حدد مفهوم "علم اللسان" وموضوعه في كتابه "إحصاء العلوم"؛ في قوله: "**علم اللسان** في الجملة ضربان: أحدهما –حفظ الألفاظ الدالة عند أمة ما، وعلم ما يدل عليها شيء منها. والثاني –

علم قوانين تلك الألفاظ. والقوانين في كل صناعة: أقاويل كلية، أي جامعة"[4]. ثم يقول: "والألفاظ في لسان كل أمة ضربان: مفردة ومركبة...وعلم اللسان عند كل أمة ينقسم إلى سبعة أقسام عظمى"[5]؛ فذكر ما يصطلح عليه اليوم في علوم اللسان الحديثة بعلم الدلالة وعلم التراكيب وعلم الخطابة أو البلاغة وعلم تصحيح الكتابة والنظرية الشعرية وغيرها.

ويعلق أحد العلماء على نصوص الفارابي الشارحة لمفهوم "علم اللسان" قائلا: "بهذا الكلام القيم يتضح لنا مفهوم علم اللسان الذي تصوره العرب، فلاحظ بالخصوص العبارات: "في لسان كل أمة" و"فيما هو مشترك له ولغيره" فإنها تدل بوضوح على عدم اقتصار الفارابي في تقسيماته لموضوعات علم اللسان على لسان معين، **وهذه نظرة لم يسبق لنا أن رأيناها عند النحاة المتقدمين من غير العرب ولا من جاء بعدهم من النحاة الأوربيين في القرون الوسطى حتى القرن الثالث عشر**؛ حيث تمكنوا من الاطلاع على تآليف العرب وخصوصا هذا الكتاب"[6]، وهو كتاب إحصاء العلوم.

لقد نظر الفارابي إلى "علم اللسان" نظرة لغوية محضة؛ باعتباره علما يدرس العام والخاص من الأحداث اللغوية؛ أي ما تشترك فيه جميع اللغات، وما تختص به وما ينقسم إليه من أقسام، **وهو أول مفهوم كان يمكن أن تنطلق منه اللسانيات فيما بعد**[7]، في الحضارتين الأوروبية والأمريكية. ومن المرجح أن يكون الفارابي قد استخلص هذا المفهوم لعلم اللسان من المعرفة العلمية المشتركة بين العلماء العرب. كما يمكن أن يكون قد انتهج هذه المنهجية في وضع الحدود والتعريفات والتقسيمات وتفريعاتها مما تأثر به من طريقة أرسطو في الكتابة المنطقية.

أ. ترجمة مصطلح "علم اللسان" أول مرة إلى اللغة اللاتينية بعد ترجمة كتاب الفارابي "إحصاء العلوم" في القرن الثاني عشر الميلادي:

بعد انعتاق عقول الغربيين من قيود السلطة الدينية المتمثلة في سيطرة الكنيسة على كل المجالات الحياتية وانفتاح أوروبا على غيرها من الثقافات والحضارات، وجدت نفسها تخلفت لمدة قرون في الظلام، ما دفعها إلى محاولة استدراك ما فاتها واللحاق بالركب الحضاري؛ فسارعت إلى تلقي ما استجد من معارف وعلوم من الحضارات الشرقية ومنها الحضارة العربية، فاتخذت الترجمة وسيلة لذلك، وكانت كتب الفارابي من بين المصادر التي ترجمت إلى اللغات الغربية وبخاصة اللغة اليونانية في ذلك العصر. وكانت أول ترجمة لكتاب "إحصاء العلوم" إلى اللاتينية قام بها « Girardo Cremonensi » في القرن الثاني عشر الميلادي، وقد جاءت فيها عبارة « **Scientia Lingue** » مقابلة للفظ **"علم اللسان"**، وهذه العبارة هي التي يُحدد بها الآن مضمون الـــ « Linguistics » في جميع الكتب التي تعالج هذه المادة العلمية، وهي « The science of language »، وما يماثلها في اللغات الأروبية الأخرى. ثم **إن هذه التسمية، بهذا المفهوم الذي وجده الأوربيون في كتاب الفارابي، لم يسبق مجيؤها فيما قبل ذلك التاريخ في نص يوناني أو لاتيني** أو أي نص آخر[8].

وبهذا يرجع إلى الفارابي الفضل الكبير على اللاتينيين في توليد مصطلح علمي جديد في لغتهم، بعد ترجمة عبارة "علم اللسان" من كتابه "إحصاء العلوم" إلى عبارة« Scientia Lingue » . وما يكافؤها اليوم في اللغات الحديثة مثل؛ الإنجليزية « The science of language » و الفرنسية « Science du langage ». والتي يساويها في المعنى مصطلح « Linguistics » الإنجليزي و « Linguistiques » الفرنسي.

4. الموضوع اللغوي لكتاب الحروف وابرازه لدلالة حروف المعاني:

من أهم مباحث كتاب الحروف البحث في أصل اللغة واكتمالها وعلاقتها بالفلسفة. وعنوان الكتاب دليل على اهتمام الفارابي باللغة؛ لأن "الحروف" التي يقصدها الفارابي في كتابه هي القسم الثالث من أقسام الكلم؛ وهي التي يسميها نحاة وفلاسفة اليونان "الأدوات"، ويسميها نحاة العرب بعد الفارابي "حروف المعاني". ولا يبحث الفارابي في جميع حروف المعاني ولا في أكثرها، بل في عدد قليل منها[9]، وهي في معظمها حروف السؤال؛ حيث يُعدّد أصنافها ويُعرّف المعاني التي تدل عليها عند أهل الصنائع الخمس –كما يسميها-وهي الفلسفة المنطقية أو البرهانية والفلسفة الجدلية والفلسفة السوفسطائية وصناعتي الخطابة والشعر. ويبين فروق توظيفات وأغراض هذه الحروف في هذه الصنائع، يقول بهذا الصدد: "فإن كل صناعة من الصنائع القياسية الخمس فيها ضرب أو ضروب من السؤال خاص بها، ففي الفلسفة سؤال برهاني وفي السفسطة سؤال سوفسطائي وفي الخطابة سؤال خطبي وفي الشعر سؤال شعري..."[10].

أ- تمييز الفارابي بين دلالة اللفظ ودلالة المعنى في تحليله لحروف المعاني (حروف السؤال نموذجا):

يعد الفارابي من الفلاسفة الذين **شيّعوا تعريف "حرف المعنى" على أنه "ما يدل على معنى في غيره"** واعتمده معاصروه ومن جاء بعده من النحاة والفلاسفة، وبخاصة تلاميذه من الفلاسفة وتلاميذ ابن السراج من النحاة[11]. ويشير الفارابي في كتابه "الحروف" إشارة لغوية لها أهميتها في الدرس النحوي واللغوي عموما، وهي تمييزه بين الدلالة الوضعية والدلالة المجازية في حروف السؤال، يقول: "حروف السؤال كثيرة: (ما) و(أي) و(هل) و(لم) و(كيف) و(كم) و(أين) و(متى). وهذه وجل الألفاظ قد **تستعمل دالة على معانيها** التي للدلالة عليها وُضعت منذ أول ما وضعت، **وتستعمل على معانٍ أُخر على اتساع ومجاز واستعارة**، واستعمالها مجازا واستعارة هو بعد أن تستعمل دالة على معانيها التي لها وضعت من أول ما وضعت"[12].

يبدو أن هذه الإشارة اللغوية اللافتة هي مما أخذه الفارابي عن بيئة النحاة الذين يجمعون على "ضرورة التقديم المطلق لدلالة اللفظ على دلالة المعنى في فهم الكلام، لأنها الأصل"[13]. ثم إن افتراض الفارابي الذي تم "وفق مرحلتين رئيسيتين هما: مرحلة وضع الألفاظ بإزاء معانيها الحقيقية، ثم نقل هذه الألفاظ من الدلالة على معانيها الحقيقية إلى الدلالة على معان مجازية هو افتراض سليم من الناحية المنطقية"[14]، كما أنه سديد من الناحية اللغوية. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن "الدلالات المجازية لا تتحقق إلا بالنظر إلى الدلالات الحقيقية؛ لأن المجاز خلاف الحقيقة وهو مبنيٌّ عليها، فالمجاز مغايرة الحقيقة، ولا يمكن أن يسبق المغايِر المغايَر"[15]. وهو مبدأ

دلالي آخر رعاه الفارابي في تمييزه بين ما يمكن أن ينتمي إلى الوضع اللغوي الأول وهو المعبر عن الدلالة الوضعية أو الدلالة الأولى، وبين ما ينتمي إلى الاستعمال وهو المعنى الاستعمالي أو المجازي الذي يتحدد بتوفر سياق كلامي محدد؛ وهو المعنى الذي يدرس حاليا فيما يعرف بالتداوليات أو علم التخاطب.

ب- تحديد شروط النقل اللغوي الفصيح عند الفارابي:

بعد أن يسرد الفارابي مراحل وضع اللغة ونضوجها واكتمالها وشيوع استعمالها بين الناس، وظهور المجاز والاستعارة فيها بكثرة مفرداتها وتراكيبها واحتياج الناس لنقل دلالات الكلمات إلى كلمات أخرى لتأدية أغراض بلاغية وتداولية معينة، وبعد أن يصبح للقوم رواة يحفظون الخطب والشعر، وكتابة يدونون بها ما حفظوه في جملته، يتخصص بعضهم في جمع الألفاظ المفردة الدالة فيفردها بعد تركيب، ثم يصنفها إلى حقول خاصة، ويرتبها في أبواب مستقلة، مستهدفا بذلك أفصح الألفاظ وهذا العمل لا يتحقق إلا بتوفر شروط يحددها الفارابي، نذكر من جملتها ما يلي[16]:

- الاستماع إلى الفصحاء من المتكلمين والخطباء والشعراء، أو ممن يحفظ كلامهم وخطبهم وشعرهم، فيسمع ذلك منهم ويحفظه ويدونه .
- كي يتحرى جامع اللغة الفصاحة يجب أن يعلم من هم الذين يأخذ عنهم اللغة.
- ألاّ يكون الذي تؤخذ عنه اللغة الفصيحة قد اختلط لسانه الأصلي بتعلم لغة أخرى غير لغة قومه.
- أن تؤخذ (أفصح الألفاظ) عن سكان البراري (البوادي)، وليس عن سكان المدن والقرى. والأفضل أن تؤخذ عن سكان البراري ممن كان مسكنه في أوسط بلادهم.
- وإذا لم يكن لبعض الأمم سكان في البرية، وكانت لهم مدن فقط، فالأفضل الأخذ عن أوسطهم مسكنا لابتعادهم عن مجاورة الأعاجم.

ج. نص تحديد القبائل العربية التي تؤخذ عنها الفصاحة دون غيرها :

بعد تحديده لشروط النقل اللغوي الفصيح، يخصص الفارابي نصا يحدد فيه القبائل العربية الخمس التي ينبغي أن يؤخذ عنها لسان العرب؛ وذلك لتوفرها على الشروط السابقة الذكر، حيث يقول: "وأكثر ما تشاغلوا بذلك [الذين جمعوا اللغة] من سنة تسعين إلى سنة مائتين، وكان الذي تولى ذلك من بين أمصارهم أهل الكوفة والبصرة من أهل العراق. فتعلموا لغتهم والفصيح منها من سكان البراري دون أهل الحضر، ثم من سكان البراري من أوسط بلادهم ومن أشدهم توحشا وجفاءً وأبعدهم إذعانا وانقيادا، وهم قيس وتميم وأسد وطيء، ثم هُذيل، فإن هؤلاء هم معظم من نُقل عنه لسان العرب. والباقون فلم يُؤخذ عنهم شيء لأنهم كانوا من أطراف بلادهم مخالطين لغيرهم من الأمم مطبوعين على سرعة انقياد ألسنتهم لألفاظ سائر الأمم المطيفة بهم من الحبشة والهند والفرس والسريانيين وأهل الشام وأهل مصر) "[17].

يحدد نص الفارابي فترة جمع اللغة وتدوينها، حيث تمتد من سنة تسعين هجرية إلى سنة مائتين هجرية، وقد تكفل بذلك أهل البصرة والكوفة، برئاسة العالم البصري أبي عمرو بن العلاء، ويقتصر مكان الجمع على سكان

البوادي دون سكان الحواضر من المدن والقرى. ويبرر الفارابي أخذهم الفصاحة عن سكان البوادي لبعد بلادهم عن الاختلاط بغيرهم وجفائهم وعدم انقياد ألسنتهم لألفاظ غيرهم، والامتناع التام عن الأخذ بلغة سكان الحواضر لاختلاطهم بالشعوب الأعجمية المجاورة لهم، وسرعة تأثر ومحاكاة ألسنتهم للغات غيرهم من غير العرب الفصحاء. فهل ما ذكره الفارابي في ذلك النص يعكس حقيقة ما مارسه جماع اللغة في القرون الأولى؟ أم أن الفارابي ألف نصه بناء على تخمينات معينة أو معلومات نقلها عن أصحابه من النحاة؟ هذا ما سنحاول الإجابة عنه في العنصر الآتي:

د. نص "تحديد القبائل الفصيحة" بين النقل والنقد:

1/ طريقة نقل نص الفارابي عند السيوطي وتداعياته:

يتميز هذا النص (أو بالأحرى، النص بعبارته عند السيوطي) بشهرة واسعة عند الباحثين في ميدان علوم اللغة العربية عموما والنحو وأصوله تحديدا، ويعود الفضل في ذلك (أو سوء الحظ) إلى السيوطي الذي نقل هذا النص، نقلا غير حرفي، وأدرجه (مُحرفا) في كتابه "الاقتراح في علم أصول النحو"[18].

ومما زاد من تعميق هذا التحريف عملُ بعض المحققين المتمثل في تنصيص ما نقله السيوطي عن الفارابي وإحالته على كتاب الحروف، وكأنه النص الأصلي كما أورده الفارابي حرفيا في كتابه الحروف (انظر مثل هذا العمل في طبعة دار المشرق ببيروت بتحقيق محسن مهدي ص 34)، وهذا الفعل أوهم الكثير من الباحثين والقراء بأن ما نقله السيوطي هو نسخة طبق الأصل لما قاله الفارابي، فكانت له انعكاسات سلبية على البحث اللغوي العربي الحديث؛ حيث اعتمد بعض الباحثين المحدثين على مرجع السيوطي دون نقد أو تمحيص أو مراجعة وتدقيق .

وبإجراء مقارنة بسيطة بين النصين يسجل القارئ اختلافا كبيرا؛ من حيث اللفظ والمعنى. ولتأكيد ذلك نورد نص السيوطي الذي ينسبه إلى الفارابي، ويُحيله محقق كتاب السيوطي منصصا إلى كتاب الحروف للفارابي.

يقول السيوطي في فصل "ما يُحتج به من كلام العرب": قال أبو نصر الفارابي في أول كتابه المسمى بـــ(الألفاظ والحروف): "كانت قريش أجود العرب انتقاءً للأفصح من الألفاظ، وأسهلها من اللسان عند النطق، وأحسنها مسموعا، وإبانة عما في النفس، والذين عنهم نُقلت اللغة العربية وبهم أقتدي وعنهم أخُذ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم: قيس وتميم وأسد، فإن هؤلاء هم الذين عنهم أكثر من أُخذ ومعظمه، وعليهم أُتكِل في الغريب وفي الإعراب والتصريف، ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم. وبالجملة فإنه لم يؤخذ عن حضري قط، ولا عن سكان البراري ممن كان يسكن أطراف بلادهم التي تجاور سائر الأمم الذين حولهم..."[19].

2/ أوجه الاختلاف:

- الفارابي لم يذكر قبيلة قريش أصلا في نصه فضلا على وصفها بأفصح القبائل.

- الفارابي اقتصر ذكره على خمس قبائل فصيحة فقط. أما السيوطي فقد أضاف قبيلتين.
- اختلاف النصين من حيث المعنى والمبنى.
- عدم إشارة السيوطي إلى فترة جمع اللغة وتدوينها.

هـ- نص الفارابي في ميزان النقد :

على الرغم من تسليم باحثين محدثين ومعاصرين بواقعية ما قاله الفارابي وما نقله عنه السيوطي، واعتبار نص السيوطي، في أغلب الأحيان، نصا مرجعيا يستشهدون به على اقتصار الفصاحة على سبعة قبائل من البادية، ويحتجون به على من خالفهم في ذلك، فإنه يوجد من الباحثين المدققين من رد على هذين النصين بالحقيقة العلمية الواقعية؛ المستقاة من أقدم نصوص العلماء العرب الأوائل أمثال الخليل وسيبويه والفراء وابن جني وغيرهم. ورأوا أن النحاة واللغويين العرب القدامى أخذوا اللغة الفصحى من جميع القبائل العربية في الجزيرة العربية باستثناء القبائل المجاورة للأعاجم. وامتدت فترة الجمع والتدوين في البادية إلى ما بعد مائتين هجرية[20]، يقول أحدهم في رده على الفارابي: "أخذ اللغويون العرب ابتداءً من نهاية القرن الأول بلغة كل هؤلاء الذين نقل عنهم الرواة الفصحاء خلافا لما ادعاه الفارابي"[21].

وكخلاصة لبحث معمق في النصوص العربية القديمة التي جاء فيها ذكر القبائل التي احتج العلماء العرب القدامى بشعرهم ونثرهم، يقول الحاج صالح ردا على نص الفارابي: " فقد أخذ اللغويون من جميع القبائل وبذلك يسقط ما ادعاه الفارابي من عدم أخذهم من هؤلاء [معظم القبائل العربية] ومن بكر وتغلب وثقيف وغيرها. فقد أخذوا منهم بتدوينهم لما كان رائجا متداولا عند العرب"[22]. ويقول أيضا عن امتداد فترة الجمع والتدوين في البادية إلى ما بعد مائتين هجرية: "فشا اللحن ابتداء من القرن الثاني حتى عمّ في أواخر هذا العصر كل المدن وخُتم بذلك عهد الاستشهاد بأهل الحضر ...وبقيت البوادي في النصف الأول من القرن الثالث على الفصاحة المعهودة، مع بداية انتشار اللحن في بعض الجهات. وواصل العلماء تحرياتهم فاكتفوا في هذا العصر بأهل الوبر. أما خاتمة المطاف بالنسبة للفصاحة السليقية فتبتدئ في القرن الرابع بالنسبة إلى البوادي أيضا، وقد شهد بعض اللغويين ما بقي من هذه الفصاحة، أي من البيئات الفصيحة"[23]. وأبرز هؤلاء الأزهري وابن جني.

هذا، وإن اختلفت الحقيقة العلمية مع ما نص عليه الفارابي، فإن ما قاله يبقى -على أقل تقدير-في إطار المعقول تصورا، وإن لم يكن ذلك ما حدث في واقع الأمر فعلا. والذي يشفع للفارابي أيضا في هذا الموضوع، أن مطارحاته كانت -في عمومها-مبنية على حدس علمي منطلق من عقلية منطقية فلسفية[24].

وفي الأخير، يبدو أن معظم الأفكار والشروط التي ذكرها الفارابي في نصوص السماع اللغوي الفصيح، أخذها من معاصريه من النحاة العرب الذين مزجوا النحو بالمنطق الفلسفي، وعلى رأسهم النحوي ابن السراج، ثم رتبها هذا الترتيب المنطقي الرائع[25]. يقول الحاج صالح " ويجب أن نذكر أن الفارابي عاشر مدة طويلة النحوي الممتاز أبا بكر بن السراج وأفاد منه كل هذه المعلومات التي يذكرها ها هنا، وهي راجعة في الأصل إلى ما استخرجه النحاة من العربية"[26].

5. الخاتمة:

بعد مناقشة مسألتي البحث بشيء من التفصيل من خلال التحليل والمقارنة، خلصت الدراسة إلى تأكيد محتويات العناصر المطروحة للنقاش في النتائج التالية:

- احتكاك الفارابي في بداية تكوينه الفلسفي ببيئة اللغويين العرب، وبخاصة اللغوي ابن السراج؛ حيث استفاد منه من خلال تفقهه في علوم اللغة العربية.
- يعد الفارابي حسب المؤرخين لعلوم اللسان العربي أول من وضع مصطلح "علم اللسان" وأول من حدد مفهومه وقسم موضوعاته.
- دخل مصطلح علم اللسان إلى اللغة اللاتينية بعد ترجمة كتاب الفارابي "إحصاء العلوم" في القرن الثاني عشر الميلادي.
- رتب الفارابي قضايا اللغة المطروحة في كتاب الحروف ترتيبا منطقيا، وحدد شروط السماع اللغوي الفصيح من خلال تحديده لأفصح القبائل.
- خلص البحث إلى أن نص الفارابي الخاص بتحديد القبائل الفصيحة يحتاج إلى مراجعة بالعودة إلى أقدم النصوص المعبرة عن ظاهرة السماع.
- على الرغم من أن السيوطي عالما أمينا في جمعه وتدوينه للعلوم العربية، إلا أن نقله لنص الفارابي الخاص بتحديد أفصح القبائل شابه بعض التحريف.

هوامش:

[1] - عبد الرحمان الحاج صالح، 2010، منطق العرب في علوم اللسان، الجزائر، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، ص82.

[2] - الجابري، 2009، بنية العقل العربي، ط9بيروت-لبنان، مركز دراسات الوحدة العربية، ص418.

[3] - زينب عفيفي: 1997، فلسفة اللغة عند الفارابي، القاهرة-مصر. دار قباء، ص15.

[4] - الفارابي: 1996، إحصاء العلوم: تقديم وشرح علي أبوملحم، بيروت-لبنان، دار ومكتبة الهلال، ص17.

[5] - نفسه، ص19.

[6] - الحاج صالح: 2007، بحوث ودراسات في علوم اللسان، ط1.الجزائر، موفم للنشر.ص86.

[7] - نفسه ص 66، وص 87 و88.

[8] - الحاج صالح: بحوث ودراسات في علوم اللسان...ص87.

[9] - الفارابي: كتاب الحروف، تحقيق محسن مهدي، بيروت. لبنان. دار المشرق-مقدمة المحقق ص29.

[10] - نفسه ص 226.

[11] - الحاج صالح، 2010، الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، الجزائر، enag، ص 99.

[12]- الفارابي، الحروف 164.
[13]- الحاج صالح، 2010، الخطاب والتخاطب ص 143.
[14]- جلال عبد الله محمد سيف الحمادي، 2010، ّ البحث الدلالي عند الفلاسفة المسلمين في ضوء اللسانيات أطروحة دكتوراه مقدمة إلى وحدة اللغة العربية بمركز اللغات، اليمن، بجامعة تعز. ص 44
[15]- نفسه ص 44.
[16]- الفارابي، الحروف: ص 145.
[17]- نفسه ص 147.
[18]- السيوطي:2011، الاقتراح في علم أصول النحو، تحقيق محمد إسماعيل، ط3، بيروت-لبنان، دار الكتب العلمية، ص 33 و34.
[19]- نفسه ص 33.
[20]- محمد خير الحلواني: 2011، أصول النحو العربي، الدار البيضاء-المغرب، إفريقيا الشرق، ص60.
[21]- عبد الرحمان الحاج صالح: 2012، السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة. الجزائر، موفم للنشر، ص96.
[22]- نفسه ص 131.
[23]- نفسه ص 132.
[24]- جلال عبد الله محمد سيف الحمادي، 2010، ّ البحث الدلالي عند الفلاسفة المسلمين في ضوء اللسانيات أطروحة دكتوراه مقدمة إلى وحدة اللغة العربية بمركز اللغات، اليمن، بجامعة تعز. ص39 و40.
[25]- الحاج صالح: بحوث ودراسات في علوم اللسان...ص84 ه57.
[26]- نفسه ص 86 و87.

7-قائمة المصادر والمراجع:

1- عبد الرحمان الحاج صالح، 2010، منطق العرب في علوم اللسان، الجزائر، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية.
2- الجابري، 2009، بنية العقل العربي، ط9بيروت-لبنان، مركز دراسات الوحدة العربية.
3- زينب عفيفي: 1997، فلسفة اللغة عند الفارابي، القاهرة-مصر. دار قباء.
4- الفارابي: 1996، إحصاء العلوم: تقديم وشرح علي أبوملحم، بيروت-لبنان، دار ومكتبة الهلال.
5- الحاج صالح، 2010، الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، الجزائر، enag.
6- الحاج صالح: 2007، بحوث ودراسات في علوم اللسان، ط1.الجزائر، موفم للنشر.
7- الفارابي: كتاب الحروف، تحقيق محسن مهدي، بيروت. لبنان. دار المشرق.
8- عبد الرحمان الحاج صالح: 2012، السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة. الجزائر، موفم للنشر.
9- جلال عبد الله محمد سيف الحمادي، 2010، ّ البحث الدلالي عند الفلاسفة المسلمين في ضوء اللسانيات أطروحة دكتوراه مقدمة إلى وحدة اللغة العربية بمركز اللغات، اليمن، بجامعة تعز.
10- محمد خير الحلواني: 2011، أصول النحو العربي، الدار البيضاء-المغرب، إفريقيا الشرق.
11- السيوطي:2011، الاقتراح في علم أصول النحو، تحقيق محمد إسماعيل، ط3، بيروت-لبنان، دار الكتب العلمية.